الأمد طريقاً وحيداً وحتمياً لتحرير فلسطين كان اختياراً حتمياً لتحقيق وضع فلسطين في أولوية أهدافها وعملها.

ولقد كُتب الكثير عن حرب الشعب طويلة الأمد؛ ولكن معظم الكتابات تركز على الجانب العسكري منها دون الجانب الاجتماعي، والثقافي، والحياتي، والأهم من ذلك دون الجانب البنيوي. ولعل السبب هو اعتماد الكثيرين على نقل تجارب الشعوب الأخرى، كالشعب الجزائري والشعب الصيني، دون التنبّه الى الخصوصية الفلسطينية والى الطابع الخاص للعدو الصهيوني.

فالشعب الفلسطيني ليس كالشعب الفيتنامي، أو الصيني، الذي عرف كل منهما تاريخاً مستقلاً خاصاً لمؤسساته وبنيانه، وكذلك هو ليس كالشعب الجزائري، الذي وانْ كان جزءاً من المغرب العربي وقد حرم من بناء مؤسساته السياسية المستقلة، الاّ انه ظل موجوداً على أرضه، وقد فرض المحتلون الفرنسيون وجودهم ومؤسساتهم عليه وعلى أرضه، بحيث ظلت الهوية الجزائرية موجودة وقائمة حتى في ظل الاحتلال، وحتى في ظل انكار المستعمرين الفرنسيين لهما.

الأمر في فلسطين متفرّد بين هذه التجارب. فلقد تمّ اقتطاع فلسطين من الوطن العربي في ظروف تفكك الدولة العثمانية وفرض اتفاقيات التقسيم الاستعماري على دول المنطقة (سايكس - بيكو). وبينما نشأت في المنطقة المحيطة بفلسطين دول عربية «مستقلة»، وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وحرم شعبها من بناء مؤسساته في الوقت الذي تمّ ضخ المهاجرين اليها، الذين قاموا ببناء دولتهم وجيشها قبل اعلان قيام الدولة في العام ١٩٤٨، بينما حرم الشعب الفلسطيني من اقامة دولته لظروف ليس هنا مجال تفصيلها، وظل محروماً من اقامة هذه الدولة الى أن بادرت الثورة الفلسطينية، في مرحلتها المعاصرة، ببناء المؤسسات الفلسطينية المستقلة في اطار منظمة التحرير الفلسطينية. ويكفي ان منظمة التحرير الفلسطينية نفسها، والتي تقرّر اقامتها بقرار من الدول العربية في مطلع العام ١٩٦٤، قد تأخّر قيامها أكثر من خمسة عشر عاماً.

لذا، فان حرب الشعب الفلسطيني لها طابعها الذي ينبع من ظروف قضية فلسطين ذاتها، ومن ظروف شعبها. ويمكن القول، بعد أكثر من خمسة وعشرين عاماً من النضال المتواصل، ان الشعب الفلسطيني قد استطاع أن يقدم الى العالم نموذجاً خاصاً به لحرب الشعب طويلة الأمد. ويكفي العودة الى أحداث العامين الأخيرين للانتفاضة الفلسطينية لكي نرى هذه السمات الخاصة، مجتمعة ومنفردة، بين تجارب الشعوب.

الانتفاضة الفلسطينية

قدّمت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة، بشكل مكثّف ويومي، الى العالم أجمع صورة الثورة الفلسطينية التي انطلقت في ١٩٦٥/١/١.

وفي بداية الانتفاضة، ولأن الكثيرين كانوا لا يعاصرون تفاصيل هذه الثورة، ردّد بعضهم مقولات من طراز ان الانتفاضة شيء وما قبلها شيء آخر، أو ان الانتفاضة مقطوعة الصلة بمنظمة التحرير الفلسطينية، أو ان الانتفاضة هي طريق جديد للنضال الفلسطيني؛ حتى ان بعضهم قال، وهو يوجز وقائع العامين الأولين، ان الفلسطينيين قد اكتشفوا الطريق الصحيح الى النضال ضد اسرائيل، فأجابه كاتب آخر باحصائية تبيّن ان الفلسطينيين لم يتوقفوا عن ممارسة اسلوب الانتفاضة طوال السنوات الماضية.